

## قراءات

### كتب بالعربية

قديماً في البلد المقدس:  
رحلات إلى فلسطين القديمة  
كلاوس بولكين

ترجمه عن الألمانية: وليد بصل

دمشق: مركز الغد العربي للدراسات، 2008، 276 صفحة.

ما إن وضعت حروب الفرنجة أوزارها، حتى بدأت حركة الاستكشاف في فلسطين، وشرع الرحالة الأوروبيون يتقاطرون على فلسطين تدفعهم إلى ذلك حكايات العائدين من الشرق. ويعد "فابري"، الذي قام بعدة رحلات إلى فلسطين منذ سنة 1480، رائد هذه العملية التي استمرت نحو 400 عام. وعلى العموم، كانت أغلبية الكتابات الأولى وصفية إلى حد كبير. ثم ظهر، فيما بعد، الرحالة السويسري يوهان بوركهارت (1784 - 1817) الذي اكتشف البتراء. غير أن حركة الاستكشاف الأثرية لم تبدأ جدياً إلا في القرن التاسع عشر فصاعداً، على أيدي إدوارد روبنسون وتلميذه عالي سميث. لكن هذين المستكشفين كان جل مهمما تسجيل المواقع الواردة في التوراة على الأرض، وإثبات صحة ما ورد فيها من حوادث وأماكن وأعلام. وعلى سبيل المثال، فإن إدوارد روبنسون الذي جاء إلى فلسطين في سنة 1838 بدأ رحلته من بئر السبع وهو يحمل خريطة فلسطين بيد والتوراة باليد الأخرى. ولما لم يتمكن من مطابقة التوراة على الجغرافيا، راح يطابق أسماء القرى وحدها؛ فجعل نابلس شكيم التوراتية، والخليل حبرون، وأم قيس لاختيش، وتل المتسلم مجدو. لكن الإيرلندي مكاليستر كشف في سنة 1925 أن من المحال أن يكون تل المتسلم مدينة في العصر المفترض لرواية التوراة، لأنه لم يكن أكثر من قرية صغيرة ذات أكواخ بدائية... وهكذا.

في البداية، انتمى معظم الرحالة إلى البعثات التبشيرية التي كانت غايتها التفتيش عن المسيحيين في المشرق العربي، ودراسة أحوالهم بعد نهاية حروب الفرنجة، ثم تبشير المسلمين بالدين المسيحي. وتولى مهمة البحث الأثري لاحقاً أشخاص تابعون، في معظمهم، لوزارة الحربية البريطانية أمثال كوندر وكنتشر وبالمر ولورنس، وذلك لأهمية موقع فلسطين على خط التجارة مع الهند عبر برزخ السويس. أما الصهيونيون فقد أرادوا تحويل علم الآثار في فلسطين من علم إنساني غايته الوصول إلى الحقائق العلمية، إلى علم سياسي يخدم الرواية الصهيونية. لكن كتاب "كلاوس بولكين" (1931 - 2008) هذا، ينقض التأويلات الصهيونية، وينقد الرواية اليهودية عن الأراضي المقدسة في آن. وهذا الكتاب الذي صدر بالألمانية أول مرة في سنة 1986 بعنوان: "فلسطين: رحلات في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر" أعاد المؤلف نشره في سنة 2005 بعد أن أدخل عليه تعديلات جوهرية، وأضاف إليه كثيراً من المعلومات الحديثة، وها هو بين أيدينا الآن بالعربية.

يناقش الكتاب عشرات النصوص التي كتبها رحالة أوروبيون جالوا في فلسطين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ويبين أن فلسطين كانت عربية دائماً، وأن اليهود فيها كانوا أقلية بسيطة في الحقب كافة. ونصوص الكتاب، في حد ذاتها، تكشف معالم متفرقة من الحياة الاجتماعية في فلسطين، ولا سيما حياة الفلاحين وعادات الزواج وأحوال النساء، فضلاً عن الحياة اليومية في المدن، وعلاقة المدينة بالسياسة في عهد الدولة العثمانية. ولا شك في أن هذه النصوص تندرج في حقل التاريخ الاجتماعي لبلاد الشام، لكنها تتضمن معلومات صادمة أحياناً، ومعهودة أحياناً أخرى. فالرحالة موريس بوش يتحدث عن "حي الدعارة في يافا" الذي تسكنه عاهرات مصريات (ص 11). ويقول صموئيل كوكس أن "لا أحد يبتسم في هذا البلد الغريب" (ص 24). أما إدوارد روبنسون فيهجو أريحا بقوله إن سكانها طيبو القلب إلا إنهم فاسقون، "إن يغض من بينهم الرجال عن خيانة النساء" (ص 116).

مهما يكن الأمر، فإن هذا الكتاب مهم، بلا ريب، ويعتبر من الكتب الجميلة. لكن، للأسف، لا يزال بعض المترجمين يستسهل ترجمة النصوص التاريخية من غير أن يكون لديه العدة المعرفية الكاملة، فيرتكب الخطأ تلو الخطأ، الأمر الذي يجعل كتاباً جميلاً مثل هذا الكتاب على غير الغاية من نشره بعدما خرّفته عشرات الأغلاط في اللغة والترجمة. وهاكم بضعة أمثلة من عيارات مختلفة:

**أولاً - في الترجمة:** وردت "قبيلة حطيم" في الصفحة 120، والصحيح: هتيم. وفي الصفحة نفسها وردت عبارة "البيلكا والكرك"، والصحيح: البلقاء والكرك. ويرد الاسم "دافيد" في سياق الكلام على غوليات وشاؤول وسليمان (ص 13 و23)، والصحيح: داود. وفي الصفحة 31 جاءت عبارة "منطقة تيبيرياس"، والصحيح: طبرية. وجاء في الصفحة 87 "معبد ضريح المسيح"، والصحيح: كنيسة القبر المقدس، أو كنيسة قبر المسيح. وفي الصفحة 88 جاء "كنيسة أنا"، والصحيح: كنيسة القديسة حنة. وقرأنا في الصفحة 13 عبارة غريبة هي: السليقيين الفرس "قبائل إغريقية" (المترجم). وقد حرنا، أيما حيرة أمام هذا اللغز. فمن هم السليقيون هؤلاء؟ وكيف يكون الفرس إغريقيين؟ العلم عند المترجم! وفي الصفحة 103 قرأنا كلمة غريبة هي: "جزيرة روداح" في القاهرة، وعلما أنها جزيرة الروضة. وفي الصفحة 136 لاحظنا كلمة "ريهابيم"، ثم بعدها كلمة "الجيبوزيين". ولم يطل استغرابنا، فقد اكتشفنا أن الصحيح هو: رجبعام واليبوسيون على التوالي. وفي الصفحة 140 جاء ما يلي: "كنيسة سانت ساباس"، والصحيح: مار سابا. وفي الصفحة 146 ذكر أن إبراهيم ربيب الله، والمأنوس هو خليل الرحمن. أما في الصفحة 148 فوردت العبارة التالية: "الرحالة العربي ناصر خسرو"، والمعروف أن ناصر خسرو إيراني. وفي الصفحة 149 وردت عبارة "مغارة ماخبيلا"، والصحيح: مكفيلة. وفي الصفحة 171 وردت "جمعية المعبد"، والصحيح: جماعة الهيكل. وفي الصفحات 230 و236 و237 ارتبك المترجم، فاستعمل "سهل إسرائيل" تارة، ووادي إسرائيل أو إيميك إسرائيل تارة أخرى. والصحيح هو: مرج ابن عامر بحسب المصطلح العربي أو سهل يزراعيل بحسب المصطلح الإسرائيلي. وفي الصفحة 254 ورد الاسم: "إسرائيل تسانغول"، وهو "يسرائيل زانغويل". وفي الصفحة 255 ذكر "القساوسة السامريون"، والسامريون لا قساوسة لديهم بل كهنة. وفي الصفحة 259 ذكرت عبارة "أسرة الشديدين المصرية" ثم اسم القائد الفرنجي "غوتفريد فون بولون". وأحسب أن المقصود هو "الإخشيديون"، أما القائد الفرنجي فهو غوتفريد دي بويون. وقد أعيّتنا الحيلة في اكتشاف أصل كلمة "البيلاف" (ص 130) التي يقول المترجم إنها "رُز بلحمة". كما عجزنا عن معرفة ما هي "الجنيصة" (ص 154) التي هي، على نمة المترجم، نوع من الحلوى يصنع من الحليب ودبس الخروب.

**ثانياً - في اللغة:** بحسب ما جاء في الصفحة 4، فقد راجع الدكتور عاهد الماضي هذا الكتاب لغوياً وهذا أمر حسن. لكن، وللأسف مرة ثانية، الكتاب يعج بالأغلاط اللغوية الشائعة، وفقراته سقيمة المبنى. ولعل المراجع لا يفرق بين حوالى وحوالي، ولا يعرف الفارق بين خطر وخطير، أو بين يجب ويتوجب، وبين دون ومن دون... إلخ، لذلك يستخدم كلمة "مثابة" في غير موقعها (المثابة هي مكان العودة مثل ثاب إلى رشده)، وهو لا يدري متى يستعمل "آية" ومتى يستخدم "أي"، وجل ما يفعله هو أنه يؤنث "أي" مع المؤنث فتصبح "آية" ويذكرها مع المذكر فتبقى "أي"، هكذا اعتباراً. والمراجع لا يعرف أن الحال مؤنثة، والسوق مؤنثة، ولبنان مذكر، والهام غير المهم. وعلى سبيل المثال، ورد في الصفحة 9 "أشباه المتدينون"، والصحيح: المتدينين. وفي الصفحة 20 جاء "لعشرة مناطق"، والصحيح: عشر. وفي الصفحة 30 جاء "كما هو الحال"، والصحيح: كما هي الحال. وفي الصفحة 31 ورد "سوق عام"، والصحيح: سوق عامة مثلما نقول "السوق العربية المشتركة" وليس السوق العربي المشترك. وفي الصفحة 33 جاء "على كراسي مهتزة"، والصحيح: كراس. وفي الصفحة 43 وردت عبارة "واستأثرت لبنان المتنازع عليها"، والصحيح أن يذكر لبنان والعراق واليمن والمغرب. وفي الصفحة 254 ورد "أن الإسرائيليين"، والصحيح كما يعرفه "تلموذ" في المرحلة الابتدائية هو "الإسرائيليين". ومن سقم الأسلوب ما ورد في الصفحة 9، فقد قرأنا عبارة "رعاة البغال" كتفسير لكلمة "المكارية"، و"خدام الجياد" بدلاً من "ساسة الخيل". وفي الصفحة 200 في سياق الكلام على دراسة القمح قرأنا عبارة "شوكة خشبية ثلاثية الأسنان". ماذا لو قال "المذراة"؟ وقبل ذلك في الصفحة 175 وردت جملة "جواد من العرق العربي الأصيل"، أي أن هذا الجواد هو ابن عم لنا نحن العرب، والصحيح أنه من نسل الجياد العربية الأصيلية وليس من العرق العربي الذي ينسب إليه العرب البشر. وفي الصفحة 237 قرأنا جملة "قاطعي أشجار أو حمالين للماء". ما كان ضره لو قال: "حطابون وسقاؤون". هذا فيض من غيظ، ذكرنا بعضاً من عياراته هنا، لعل في الإمكان تداركه في الطبعة المقبلة.

صقر أبو فخر

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: [majallat@palestine-studies.org](mailto:majallat@palestine-studies.org)

يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:  
[http://www.palestine-studies.org/ar\\_index.aspx](http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx)